Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(7); August 2019

Artical History

Received/ Geliş 13.06.2019 | Accepted/ Kabul 20.07.2019 | Available Online/yayınlanma 01.08.2019.

New Trends and their Implications for International Relations: Religious and Cultural Approaches

الاتجاهات التنظيرية الجديدة و انعكاساتها على العلاقات الدولية:

المقاربة الدينية و الثقافية

جمال بن مرار، أستاذ محاضر قسم "ب"، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

الملخص

أفرزت التحولات السياسية و الدولية جملة من التعقيدات و التغيرات سواء في العلاقات الدولية أو النظم السياسية أو في البُنى الإيديولوجية و المفاهيمية، إن ظاهرة الأزمات هي إحدى حقائق العلاقات، و عالم اليوم يتميز بالمتغيرات السريعة التي أسفرت على توترات شتى الناجمة عن اختلال توازنات القوى الكبرى، مع سعي القوى الأخرى إلى تحقيق مزيد من الاستقلالية و النمو ما أدى إلى صراعات عنيفة و تحالفات متعددة التوجهات و تمخض عن ذلك أزمات عالمية و إقليمية و محلية متعددة الوجوه ذات طبيعة زمنية و مكانية مركبة ومتعددة،راجع إلى تغييب المنظرين لعامل الثقافة و الدين كمستوى تحليل و تأثيره في العلاقات الدولية و ركّزت على المصالح و الأمن في مقارباتهم، و في هذا الصدد ربط بين العولمة و عودة الدين من زاويتين: تسارع العولمة وإفرازاتها وثورة الاتصالات حيث ربطت الجماعات الدينية في العالم؛ العالم المعاصر أصبح وحدة متقاربة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا و ثقافيا بات أيّا من كياناته عُرضة لأزمات و أبرزها التغيرات العالمية التي أخلت بموازين

القوى* العالمية و الإقليمية، أوجب رصدها و تحليل حركتها و اتجاهاتها و من ثمّ العمل على التكيف مع المتغيرات و تحريك الثوابت و قوى الفعل المختلفة ذات التأثير السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و كذلك الثقافي والحضاري.

الكلمات المفتاحية: المقاربة، العلاقات الدولية، توازن القوى، العولمة.

Abstract

The political and international transformations have produced a number of complexities and changes, both in international relations and political systems or in ideological and conceptual structures. The phenomenon of crises is one of the realities of relations. The world today is characterized by rapid changes that have resulted in various tensions resulting from imbalances of major powers, With the other powers seeking to achieve greater independence and growth, which led to violent conflicts and multi-oriental alliances, resulting in global crises, regional and local multi-faceted nature of time and spatial complex and multiple, due to the absence of theorists of the factor of culture and religion Km The analysis and its impact on international relations focused on the interests and security in their approaches. In this regard, globalization and the return of religion were linked from two angles: the acceleration of globalization and its repercussions and the revolution of communication, where religious groups were linked in the world; the contemporary world became a politically, Culturally, any of its entities has become vulnerable to crises, most notably the global changes that have upset the balance of power, global and regional, necessitated monitoring and analyzing its movement and direction, and thus working to adapt to the variables and move the constants and different forces of action with political, economic and social influence. Aa, as well as cultural and civilization.

Keywords: Approach, International Relations, Balance of Power, Globalization.

* قامت سلسلة متوالية من واضعي النظريات عبر كتاباتهم بمحاولات لإثبات أن توازن القوى يوفر الأسس التي يُبنى أي فهم للعلاقات الدولية و منها: كتاب " السياسة بين الأمم" 1948 للكاتب " هانز ج. مورغنتو، و كتاب " المجتمع الفوضوي" 1977للمؤلف " هيدلي بول"، و كتاب "نظرية السياسة الدولية " للكاتب "كينيث ن. ولتز"، و كتاب: "مأساة سياسات القوى الكبرى" 2001 للمؤلف " جون ج. ميرشايمر".

المدخل:

إن التحولات ما بعد الحرب الباردة و انعكاساتها على مستوى الدولي و تغير المفاهيم، فقد تمثلت طبيعة ومحتوى التحولات الانتقال من حالة الصراع الايديولوجي بين الكتلتين الشرقية و الغربية إلى التنافس الاقتصادي، فقد تنبأ رواد مدرسة نهاية الايدولوجيا في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، بروز النزاعات و الصراعات على المستوى الدولي خاصة الهوية الوطنية و تغير الخارطة الجيوسياسية في أوروبا الشرقية، ويدعم ذلك التصريح الرئيس الولايات المتحدة الأمريكية "جورج بوش" أثناء أزمة الخليج الثانية "بأن نظاما دوليا جديداً بدأ في التشكل و يقوم على احترام القانون الدولي، و تسهر على حمايته أمم متحدة فعالة"، فقد ساد بأن حرب الخليج الثانية تمثل الحد الفاصل بين نظام قديم و نظام دولي قيد التشكل، نظام دولي جديد في إطار إرادة و مصالح و تصورات الطرف المنتصر حيث يلح "هنري كيسنجر" على أن الولايات المتحدة الأمريكية ستبقى طرفا في اللعبة الدولية الكبرى، لكن فقط إذا كانت في موقع يؤهلها لإعادة صياغة قواعد هذه اللعبة وفق ما ينسجم مع صالحها.(هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية،2002، ص77).

طبيعة الدور الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي الجديد، فقد يتخذ شكل الهيمنة و السيطرة المطلقة إنطلاقاً من المقومات القوة الاقتصادية و العسكرية و القيمية التي تنفرد بها الولايات المتحدة الأمريكية، أو يكون هذا الدور في صيغة قيادة نظام دولي جديد تساهم في تنشيطه و تتحمل الجزء الأكبر من أعبائه ومسؤولياته مجموعة من الدول تتقاطع مع الولايات المتحدة الأمريكية في القيم و الأهداف و التصورات.

إن هذا الوضع الجديد يؤدي إلى إعادة النظر في المقاربات النظرية و التفسيرية للمرحلة الجديدة و منها:

- تغيرات البنيوية – بناء نظام دولي -.
- تغيراً جوهرياً في وحدات و متغيرات التحليل أي مستوى التحليل في العلاقات الدولية.
- تنازل الدولة عن كثير من وظائفها و اختصاصاتها لفواعل داخلية و خارجية و ذلك من أجل تحقيق المزيد من الفعالية و العقلانية في الشؤون الداخلية و تدعيم روابط الاعتماد المتبادل على المستوى الدولي–تهلهل مبدأ السيادة–.

- إن اتجاه الدولة إلى تحقيق الرفاه الاجتماعي إنعكس على طبيعة و محتوى السياسة الخارجية حيث كسر التفرقة التقليدية بين الشؤون الداخلية و الشؤون الخارجية، حيث أنه غيّر ميزان القوة بين ما يسمى بالسياسة العليا –مسائل السيادة و الأمن– و السياسة الدنيا –الشؤون الاقتصادية و الاجتماعية– لصالح الأخيرة، و من حيث أنه قلص بشكل كبير مستوى مراقبة و هيمنة الدولة على المستويين الداخلي و الخارجي.
- بروز فواعل لها دور في البيئة الخارجية كالشركات المتعددة الجنسيات التي أدت إلى خلق أنماط جديدة من الاستهلاك و تحول الولاء من الدولة القومية إلى التنظيمات فوق قومية.
- أن نهاية الصراع الإيديولوجي أدى إلى تقليص الدور العسكري، و قد برهنت بعض النزاعات على عدم ملائمة القوة العسكرية – بروز الحروب اللاتماثلية– و ذلك لطبيعة النزاعات في حد ذاتها و الأمثلة عديدة منها : الصومال، أفغانستان، العراق.
- و قد شكل الرأي العام الداخلي و الدولي اعتبارا آخر في تراجع مكانة المتغير العسكري، بحيث تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عدة انتقادات بسبب التدخلات العسكرية في الصومال، هايتي، البوسنة، العراق، أفغانستان، و ذلك بحكم عدم شرعية عمليات التدخل من جهة و عدم ارتباطها بالمصالح الحيوية لولايات المتحدة الأمريكية.
- هيمنة الفكر الواقعي أدى إلى تفعيل العامل العسكري، ليتبلور نقاش واسع في الأوساط الأكاديمية والرسمية حول طبيعة العدو الذي يمكن أن يشكل خطراً على المصالح الحيوية لولايات المتحدة الأمريكية في القرن الواحد و العشرين.
- أن مسالة العدو بمثابة المكوّن الرئيسي النسق الفكري الأمريكي الذي من خلاله تتم عملية إضفاء الشرعية على السلوكيات و عليه دعمت نزعة صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية على استعمال القوة بحكم اقتناعهم بضرورة زعامة و هيمنة على التفاعلات ما بعد الحرب الباردة.
- زيادة أهمية الدور الثقافي و الديني أدّى إلى ضرورة ملحة، لأن النظريات و النماذج التي طُورت أفرطت في التركيز على أهمية العوامل السياسية و الايدولوجيا و العسكرية و أهملت إلى حد كبير المتغيرات الثقافية والدينية و ذلك من خلال أهمية الاعتماد المتبادل بين المجتمعات التي عجلت بضرورة البحث عن مقاربات و الأطر النظرية مناسبة لتفسير التفاعل و الترابط بين الأمم يبدو أن الدولة لا تتحكم إلاّ بنسبة

ضئيلة منه، ذلك أن المسائل الدينية و الثقافية انتقلت لتحتل مركز الاهتمام في النظام الدولي، و هو ما يفسر الميول المتزايد لتوظيف العامل الديني و الثقافي للقوى الكبرى.

- ظاهرة الانتشار خاصة الأزمات الاقتصادية برهنت على عجز الدول و الحكومات عن التحكم في انعكاساتها، لذلك فإن القوة لم تعد موزعة بين الدول بل هناك قوى و فواعل أخرى تتقاسم معها القوة وعليه ضرورة الاهتمام بهذه الحقيقة عند بناء المقاربات النظرية لتفسير الظواهر.
- إن مسائل الخلاف و النزاع بين الدول في عدة المسائل هو أن الفواعل غير حكومية لا يمكن أن تتجرد من ولاءاتها الفكرية و القومية و العقائدية.
- دور و مكانة المتغير الأخلاقي أي التركيز على ضرورة التقيد بالمبادئ الأخلاقية، و قد ساعد على إعادة إحياء هذا الاتجاه نهاية الصراع الإيديولوجي و انهيار الكتلة الشرقية، مما ساهم في هيمنة مبادئ و قيم النموذج الغربي – عولمة النموذج الغربي- على التفاعلات الدولية، و تم بروز مسألة الأخلاق في العلاقات الدولية من خلال طرح قضايا: حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، الحريات الفردية، الممارسة الديمقراطية و غيرها من القيم التي تعد بمثابة الحدود التي لا يجب تجاوزها في سلوكيات الدول الداخلية و الخارجية، و بهذا الصدد يرى "**جورج شولتز**" أن الإعلان عن الاستقلال الولايات المتحدة الأمريكية كان بمثابة وضع و تقديم مجموعة من المبادئ و القيم الأخلاقية العالمية.

I. توجهات العولمة:

إن الرغبة الولايات المتحدة الأمريكية في نشر نظامها الخاص و مبادئها إلى مختلف أنحاء العالم تستقي قوتها و مشروعها من المبادئ الأولى لنسق الفكري الأمريكي – البعد البروتستانتي الديني- حيث ساد الاعتقاد لديها أن مبادئها و قيمها الإيديولوجية و العقائدية هي مبادئ ألالاهية لا تخطئ و على أساسها بعثت الأمة الجديدة التي اختارها الله لقيادة العالم إلى مستقبل زاهر.

و رغم الهيمنة الأمريكية على هذا النظام إلاّ أنه يختلف من حيث الفواعل و من حيث أسس و مقومات القوة،يرى "ج.جوزيف ناي" في كتابه:"مفارقة القوة الأمريكية"، أن القوة في عصر العولمة، الذي تميزه الثورة في المعلومات موزّعة مثل لعبة الشطرنج بثلاثة أبعاد و هي :

01) الرقعة العليا العسكرية: أحادية القطب تتفوق الولايات المتحدة الأمريكية على جميع الدول.

02) الرقعة الوسطى الاقتصادية: متعددة الأقطاب: الولايات المتحدة الأمريكية+أوروبا+اليابان=3/2 من الإنتاج العالمي.

03) الرقعة السفلى العلاقات فوق قومية: و التي تعبر الحدود بدون أن تسيطر عليها الحكومات فهي موزّعة على نطاق واسع بين مجموعة من التنظيمات.

II. صراع الحضارات:

يرون أصحاب هذا الطرح أن العوامل الحضارية سوف تهيمن على التفاعلات الدولية في المستقبل، و أنّ شكل العالم يتحدد نتيجة تفاعلات بين سبعة أو ثمانية حضارات أساسية. (Samuel Huntington, The Clash of Civilisation, 1993.)

إن الاتفاق على معايير وقيم مشتركة لإدارة العلاقات بين المجتمعات، و عقلنة و تقييد سلوكيات حكوماتها الخارجية أمر صعب، حتى لو سلمنا بأهمية التحولات التي وقعت في العلاقات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة،و بضرورة تطوير الأدوات المنهجية و النظرية لفهم حقيقة الأوضاع المعقدة.

III. الاتجاهات النظرية التكوينية (ما بعد الوضعية):

تتميز المحاولات التنظيرية التكوينية بالنسبية (Relativity) في بناءاتها، و التعددية (Pluralism) في تركيزها على فهم الظواهر السياسة الدولية.

و من هذه الاتجاهات التنظيرية ما بعد الوضعية لدينا:

1. **النظرية الاجتماعية النقدية:** و هي نظرية تحسب على التيار الماركسي لاعتمادها على المتغيرات الاجتماعية و الثقافية و على المادية التاريخية، وفق المنهج الجدلي.

ترى النظرية إمكانية خلق مجتمع ما بعد السيادة الذي يقوم على أسس معيارية و أخلاقية، و هدف النظرية عقلنة سلوكيات و ممارسات الاجتماعية الدولية الهادفة إلى إحداث تحولات عميقة في العلاقات الاقتصادية و الطبقية على المستوى الداخلي و الخارجي، و من روادها " ماك هوفمان" و هو من مدرسة فرنكفورت التي ترفض مفهوم الفوضى الدائمة حسب التفسير المدرسة الواقعية.

و الملاحظ أن جلّ المفكرين ليسوا أمريكيين منهم: " هربرت ماركوز"، "ماكس هوركهاير"، "يورغن هابرماس"، فقد تبنوا المادية التاريخية وفق المنهج الديالكتية – علاقة جدلية صراعية بين فئات المجتمع– و تحديد طبيعة العلاقات الاجتماعية و أنماط القوى على أساس عاملي الثقافة و الايديولوجيا؛ و عليه هناك اتجاهين يمثلان الاتجاه الماركسي في هذا الصدد و هما:

أ. صنف يركز على مفهوم المادية التاريخية، و يمثل هذا الاتجاه كل من: "أنطونيو غرامشي"و "إريك هاسبوم".

ب. صنف يستند إلى الماركسية البنيوية و يمثل هذا الاتجاه كل من: "آلتيسار"و "بولنزار".

الصنف الأول الذي يمثله "أنطونيو غرامشي" و الذي يتمحور حول دور الثقافة و الايديولوجيا في تحديد أشكال و طبيعة العلاقات الاجتماعية و أنماط صراع القوى، و بذلك ينتقدون المنهج الماركسي الذي يعتقد أن المادة هي أساس كل شيء و جوهر كل فكر.

2. النظرية البنائية:

تعتبر الجسر الرابط بين الاتجاهات التفسيرية و ما بعد وضعية – التكوينية–، و ترجع أصول النظرية البنائية إلى الفيلسوف الايطالي "جيونباتستا فيكو" فهو يرى أن العالم الطبيعي من خلق الله، لكن العالم التاريخي هو من صنع الانسان.

و يعتبر "نيكولاس أوناف" أول من استعمل مصطلح البنائية في كتابه:"عالم من صنعنا" منتقداً فرضيات وأفكار الواقعية "والتز"و "ألكسندر واند" الذي لقب بأب البنائية و التي يعتبرها منهج للعلاقات الدولية، ويفترض مايلي:

- ✓ أن الدول هي الوحدات الأساسية للتحليل.
- ✓ تذاتانية Inter-Subjectivity البُنى الأساسية للنظام القائم على الدول.
- ✓ تتشكل هويات و مصالح الدول في إطار نسق مترابط بفعل البُنى الاجتماعية ضمن النظام.

ينظر البنائيين للواقع نظرة تذاتانية، لأنه حصيلة ذلك الاتصال الاجتماعي الذي يكفل له تقاسم بعض المعتقدات و القيم؛ و تركيز البنائية على عصر الهوية Identity كمسألة جوهرية بعد الحرب الباردة، وكيفية التعامل الهويات مع الطريقة التي تستوعبها الدول و تستجيب لمطالبها.

أمثلة ذلك:

- بروز قضايا الأقليات و تحول الصراع :من صراع بين الدول أثناء الحرب الباردة إلى صراع داخل الدول بعد الحرب الباردة.
- قضايا الإرهاب و تحول الصراع: من صراع الايديولوجي أثناء الحرب الباردة إلى صراع حضاري بعد الحرب الباردة.

نستنتج من ذلك: أن صناع القرار يلعبون على أوتار الانتماءات العرقية و الثقافية و هو ما يوضح وجود عدة فواعل و ليس فاعل واحد و وحيد في النظام الدولي بعد الحرب الباردة؛ و لفهم و إبراز أفكار و معتقدات الفاعلين الذي أقحموا أنفسهم في النزاعات و الصراعات الدولية، يرى البنائيون في اختبار ما يوجد الكريات البليار – و هو عكس التصور الواقعي – للوصول إلى إدراك تصور معمق بشأن الصراعات بالاعتماد على تأثير الأفكار و الوعي الإنساني - حسب البنائية- لأن الواقع الاجتماعي ليس وحدة مادية خارج الوعي الإنساني،لأن كينونته مرهونة بكينونة البشر.

IV. الدين و قضايا العلاقات الدولية:

- **عودة الدين، أسبابه:**

كان الاعتقاد الشائع لدى الناس عموما و في الغرب خصوصا في بداية القرن العشرين أن الدين سيموت ويخرج نهائيا من حياة الناس الاجتماعية و السياسية ة العلاقات الدولية التي كانت سائدة في فترة الإمبراطوريات الكبرى.

فقد كانت الاكتشافات العلمية و التطورات التقنية و التكنولوجيا المتلاحقة وما ترتب على تطبيقاتها في المجالات الصناعية و الثقافية و انتشار قيم المنفعة و اللذة و الأفكار الداروينية و بروز العلم و الفلسفة و مناهجه النقدية القادرة على تفسير الظواهر الكونية بعيداً عن اللاهوت و بروز الدولة القومية العلمانية التي تقوم على قاعدة الفصل ما بين السلطة الزمنية و السلطة الروحية و تحررها من منظومة القيم على الدينية التي تحدد لها سلوكها،و نشوء العلاقات الدولية و القانون الدولي و مواثيقها و مؤسساتهما على منع التأثيرات العرقية أو الدينية فيما أغري البعض بنسيان الدين؛ و قد تعززت الاتجاهات التي ترى أن الدين أصبح من بقايا ظلامات الماضي وأنه سيعرف انحدار متسارعاً في أعماق الظاهرة الاجتماعية التي بدأت يوما ما محكومة بمنظور ديني مطلق " الدين الأسطوري".(سيمجموند فرويد، مستقبل الوهم، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة،ص13).

زادت هذه الثقة بتراجع و اندثار الدين أمام العلم الحديث و تطبيقاته و دفع البعض إلى رفض الفكر العقائدي و التشكيك في كل ما يخالف العقل المادي. (أوجست كونت، بنية الثورات العلمية، ترجمة: قاسم حداد، بيروت: المركز العربي للترجمة،2007،ص45).

و أظهر العلم القدرة على منح الإنسان الرفاهية و السعادة و أسرار الكون، خاطفا الأهمية الوظيفة للدين قديما بعد إن كانت قيمته كامنة بشكل أساسي في فهم و تفسير الظواهر الكونية و العالم على طريقته الغيبة في غياب العلم الحقيقي الذي يستند على الملاحظة و التجارب الحسية و اعتماد العقل الوسيلة الوحيدة للمعرفة واستنباط الحقائق و القوانين المفسرة للظواهر.

و ساهمت أخطاء و استبداد المؤسسات الدينية الغربية التي كانت تحرص على المحافظة على سلطتها الإلهية المفترضة باستعمال الدين و استغلاله للمعاقبة العلماء الفلاسفة و قمعها للعلم باسم الدين، زاد من سخط الناس و دعوتهم للانعتاق و التحرر، و حفز ذلك لنهوض الثورات ضد المؤسسات الدينية و على رأسها الكنيسة، و قد كانت الثورة الفرنسية هي الأبرز إذ قضت على السلطة الكنيسة و أقصتها من المجال الزمني. (برهن غيلون، نقد السياسة و الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص28).

و بقيام الثورة الروسية – الشيوعية 1917- التي أنكرت الدين تماماً و اعتبرته يعمل ضد مصالح الجماهير. (مايكل لوفى، الماركسية و الدين، ترجمة: بشير السباعي، بيروت: سلسلة دروس ماركسية، 1988، ص26).

في مراحل تالية أدى بروز فلسفات دنيوية احتلت الصدارة في ملهمات الإنسان و تقدير ظرف حياته وتبرير وجوده بدفع الناس للتخلي عن الدين كمصدر للقيم و الانتماء و الإلهام، و النظر إليه من منظور كمعطى رجعي و ظلامي، و باتت الحكومات و الحركات الاجتماعية تعرف من خلال انتمائها لإحدى الإيديولوجيات والفلسفات المادية العلمانية الكبرى: الرأسمالية، الشيوعية، الفاشية، السلطوية، التي هيمنت على الجدال السياسي و شكلت خريطة التحالفات في العلاقات الدولية و النزاعات العالمية و طرحت أنماطاً يمكن للدول أن تنسج على منوالها لتنظيم سياساتها. (صمويل هنتغتون، أمريكا الأنا و الأخر من نحن الجدل الكبير؟، ترجمة: عثمان الجبالي،المركز العالمي للدراسات و أبحاث الكتاب الأخضر، بنغازي، 2006، ص398).

أسهمت الحداثة و قيم التحديث في زيادة غربة الدين فالأفكار التنويرية التي أصبحت تؤسس قناعات الناس على العقلانية و المادية و تدشين مركزية الإنسان الكونية و تركيز السلطة الاجتماعية و السياسية داخل أجهزة محكمة و تحرير تقاليد الممارسة السياسية و المشاركة العامة من ما اعتبرته وهم وخرافة و تأسيس القيم و النواميس و جعلها علمانية صرفة لا تخضع لأية عقيدة أو موقف معين، عمقت من الابتعاد عن الدين و الدعوة إلى ذلك و عدم التناهي من سطوته و أساطيره و تحويله – في ظل الحداثة- لمجرد مؤسسة تضاف للمجتمع المدني. (فتحي تريكة، رشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1992، ص9).

و ساير معظم المفكرين و الفلاسفة و العلماء نظرية إقصاء الدين فكانت من بين القناعات التي لم يرق إليها كثير من الشك لدى مفكري القرن التاسع عشر، إن المكانة التي كان يحتلها الدين قد عدت شيئا من الماضي، اعتبر "هيغل" مثل مفكري العصر الأنوار قبله إن العقل بدقته المفهومية قد تخطى الدين،و صور "فيور باخ" في كتابه "جوهر المسيحية في عام 1841" علاقة الإنسان بالإلوهية على أنها لعبة قوية محصلتها الصفر و رأى إن الإلحاح على الإيمان و التقي ينقص من دفعة الغايات الإنسانية.(سلوى الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، مطبعة النيل، 2001، ص476).

كارل ماركس حاول تطبيق نظريته في الصراع على الدين الذي رأى أنه يستخدم لإباحة عدم المساواة والتمييز بين الطبقات و يضفي طابع الشرعية على الفروق الطبقية في المجتمع عن طريق خلق الوعي الزائف لدى الناس، الدين كوعي زائف معناه قبول الناس لشيء يكون ضد مصالحهم، فإذا ما اقتنع الفرد بمبادئ تضر بمصلحته الشخصية و يستفيد منها الآخرون ففي هذه الحالة يعتبر هذا الشعور شعوراً زائفاً لأنه يخدم أغراض الآخرين وهذا

ما يؤديه الدين لمصلحة الطبقة المسيطرة، لذلك رأى ماركس الذين سلبياً باعتباره يسعى للحفاظ على المجتمع على ما هو عليه و لا يشجع على التغيير ولا يعالج مشاكل الظلم و عدم المساواة و لكنه يحاول أن يخفف من معاناة الأفراد و آلامهم بوعدهم الثواب في الآخرة. (سلوى الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر،القاهرة: مطبعة النيل، 2001، ص477).

هذا ما يقتضي في عرف ماركس إلغاء الدين كسعادة وهمية من أجل سعادة البشر الواقعية و الحق والسياسية التي تخلق السماء و الدين و اللاهوت، " فالدين أفيون الشعوب".

أما "نيتشه" فقد أعلن "موت الإله" على لسان زرداشتست أحد أبطال كتبه و وصف المسيحية بأنها أخلاقية العبيد أو منظومة اعتقاديه عامية مبتذلة تلاءم الخانعين و الجبناء، ولم يقرظ من بين ممثلي المسيحية سوى أولئك الذين وجدوا متعة بالغة في وقوفهم أمام محاكم التفتيش التي كانت تأمر بحرقهم مثل اغناطيوس لويولا.(فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرداشتت، ترجمة: فيلكس فارس، الإسكندرية، مطبعة جريدة البصير، 1938، ص76).

أما ماكس فيبر الذي أهتم بدراسة الدين و علاقته النظم السياسية و أفرد مبحثاً لدراسة الدين و علاقته بالرأسمالية، اعترف أن الايدولوجيا العلمانية ستحل محل الدين كمصدر الشرعية و الفعل الاجتماعي في مجتمعات القرن العشرين.

فقد أبدوا المفكرين القرن العشرين ثقة متزايدة من أن العلم سيطيح بالدين و يحل محله، ومجد هؤلاء المفكرين العقل و قدموه على العقيدة كمصدر للفهم البشري، و اعتقدوا بشكل واسع أن البشرية تتحرك إلى مرحلة العقلانية و البراغماتية و العلمانية، و أوضح "سيجموند فرويد" المحلل النفسي في كتابه: "مستقبل الوهم" إن العقائد الدينية غير قابلة للتدليل...ولا تتلاءم مع كل شيء اكتشفناه حول حقيقة العالم، و أنها ببساطة ضلال و أوهام. (صمويل هنتغتون، أمريكا الأنا و الآخرين من نحن؟ الجدل الكبير، ترجمة: عثمان الجبالي، بنغازي، المركز العالمي لدراسات و أبحاث الكتاب الأخضر، 2006، ص399).

و على مستوى تحليل العلاقات الدولية فإن العلماء و المنظرين تجاهلوا الدين وتأثيره في العلاقات الدولية في مقارباتهم، وركزت أدبيات العلاقات الدولية على الاهتمام بالمصالح و الأمن تأثيرا منهم بوثيقة وستفاليا التي منعت

وحدات المجتمع الدولي من جعل الدين معياراً لعلاقاتها وتبعا لذلك فإن نظرية العلاقات الدولية قد تجاهلت الدين تماماً وساهمت المركزية الغربية في العلوم الاجتماعية هي الأخرى في عزل الدين عن العلوم باعتبارها مركزية لا تعترف بهذا المكوّن الديني، و أسهم ذلك بدوره في زيادة إبعاد الدين من العلاقات الدولية.

وخلافاً لكل التوقعات و النظريات التي تنبأت بانقراض الدين، انقلب الوضع في الربع الأخير من القرن العشرين وجد انبعاث شامل للأديان تقريباً، وقد ظهر جليا في كثير من الدول، فقد نمت الحركات الدينية نمواً كبيراً وكسب الأنصار حتى في أكثر البلاد علمانية كأوروبا مثلاً، التي برزت فيها أصوات لا تعارض مكتسبات عصر الأنوار ولا ترفضها ولكنها لا تستطيع إهمال مشكلة الدين عن طريق طرده من الساحة، لا يمكن أن يدوم هذا الطرد إلى الأبد. (فتح التريكي، رشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1992، ص10).

وفي الولايات المتحدة الأمريكية التي تمتلك تراثاً حداثياً علمانياً أخذ دور الدين في التنامي للدرجة التي تموضع معها في أجندة السياسات الداخلية و الخارجية وصولاً إلى صعود اليمين الديني إلى سدة المؤسسات السياسية الكبرى مع تولي بوش الابن رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية العام2000، و خلص تقرير كمي شامل حول الأديان في العالم إلى نتيجة صريحة مفادها إن معظم دول العالم و أغلبية سكان العالم يمرون بحالة انبعاث ديني، هذا الانبعاث أثر بشكل كبير على الدول الشيوعية سابقاً وآسيا الوسطى و القوقاز و كذلك أمريكا اللاتينية و الشرق الأوسط و إفريقيا و الصين و جنوب شرق أسيا، وقد شجع هذا الانبعاث العلماء على نشر مؤلفات (من بين هذه المؤلفات كتاب: جيل كيبل، يوم الله،1992، كتاب: هارفي كوكس، دعوة إلى الله، و كتاب: بيترجر، العودة إلى سحر العالم-الدين- و كتاب: اوليفية إعادة الأسلمة، كتاب: رودني ستارك، نهاية العلمنة، و كتاب: الانتروبولوجي أرنست غلر، مقارنة العلمنة، و كتاب: حدود العلمانية، جون كينن، و كتاب: المسألة الدينية في القرن ال21، جورج قرم، و كتاب: دعوة الله، للمؤلفين: جون ميكلتوبت و ولدريج،2009) تتحدث عن العودة مثل: ثأر الإله، مسألة الدولة العلمانية، و تقهقر العلمانية، و عودة الله.(صمويل هنتغتون، أمريكا الأنا و الآخرين من نحن؟ الجدل الكبير، ترجمة: عثمان الجبالي، بنغازي، المركز العالمي لدراسات و أبحاث الكتاب الأخضر، 2006، ص398).

V. مقاربات تحليل العلاقات الدولية ما بعد الحرب الباردة:

تجلي هذا الانبعاث الديني في الصعود المفاجئ الهويات الدينية و انتشار الأصوليات و مركزية الأديان في بعض النزاعات في العلاقات الدولية و حضور الدين بكثافة في المقاربات التنظيرية الثقافية مرحلة ما بعد الحرب الباردة لفهم ديناميكية التفاعل الدولي، و ترتبط عودة الأديان و انبعاث المقدس في المجتمعات و في السياسة العالمية و بروز الظاهرة الدينية و نزوعها العالمي إلى عوامل متباينة يصعب إدراكها و تحديدها جميعاً كما يصعب إقامة تمفصل بينها فعودة المقدس لها مداخل متعددة تحاول تفسيرها:

أ. عودة المقدس تقاس اليوم كردة فعل على الحداثية و مناهضة لها باسم الرجوع إلى المتعالي المطلق كأساس أول ميتافيزيقي، فالحداثة – في ظل ردة فعل هذه – مسؤولية عن اجتثاث الجذور الأصلية للوجود الإنساني، أو الجذر الديني الروحي للإنسان، فالحداثة بما هي تجاوز للقرون الوسطى و تبني العقلانية والعلمنة جعلت من الإنسان مقياس كل شيء ونقلت الأدوار الإلهية للإنسان وسعت تبعاً لذلك لتحريره من اللاهوت كخطوة أولى لتحريره هو، و بعقلانيتها الصارمة سعت الحداثة لتوسيع مفهوم القدرات الإنسانية لتشمل المتخيل و الوهم و العقيدة و الأسطورة، وباعدت الدين و تم إقصائه عن ممارسة سطوته الاجتماعية و تعلقه مع السياسات العالمية. (عساف الرمحي، أزمة الحداثة الغربية، بيروت: مركز الإنماء القومي، 2004، ص89).

ب. النزعة الفر دانية التي أصبحت تسري في معظم المجتمعات الإنسانية بفعل انهيار البنيات الاجتماعية التقليدية للاندماج و التضامن (العائلة، الجماعة...) و أزمة منظومة المرجعية على مستوى العالمي سياسياً و إيديولوجيا و فكرياً، و عليه دخلنا عصر الفر دانية – الفرد – بامتياز بحيث أنه كلما تقدمنا نحو العالمية يصبح الأفراد أكثر أهمية و أكثر قوة، وطغيان الفرد هو ما يبشر بزوال الجماعة، لذلك كان لابد و أمام اشتداد وطأة الفر دانية و الإحساس بالوحدة و تفكك العلاقات الاجتماعية اللجوء والاحتماء بالدين حيث أصبحت الديانات بمثابة أحزمة أمن ضد القلق و الخوف، فالناس أصبحوا يشعرون بالضياع و من الحرمان من شبكة العلاقات الاجتماعية التي تعطي معنى لوجودهم في هذا العالم، و هذه الحركات الدينية سواء اليهودية أو الإسلامية أو المسيحية تمنحهم هوية وتعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية المقطوعة بينهم و تجمعهم مرة أخرى عندما يمارسون الطقوس و الشعائر الدينية

نفسها. (مُحَّد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،2006، ص93).

ت. يمكن تفسير عودة الدين بنهاية الاستقطاب الإيديولوجي بين الشيوعية و الرأسمالية كنظم قيم وليس كدول فقط، و يؤكد "جورج قرم" الباحث في الأديان إن انهيار الإيديولوجيات العلمانية الكبرى المكرس باختفاء الماركسية فتح الباب أمام عودة الدين كبديل قادر على ملء الفراغ و تقديم منظور متماسك للشعوب و الدول لتحقيق أمنها الاقتصادي و السياسي و الاستراتيجي، فمع انهيار الفلسفات المادية الكبرى فإن الأحاسيس و المشاعر اتجهت لأهم الموارد الرمزية التي لا تزال باقية و تعطي معنى للعالم ومع الأديان التي دائما ما تجيب على الأسئلة الكبرى و الغامضة و المقلقة و هو ما كانت تؤديها الإيديولوجيات (جورج قرم، المسألة الدينية في القرن الواحد و العشرين، تعريب: خليل أحمد خليل،بيروت: دار الفرابي،2007، ص55).

ث. عودة الأديان لحقل السياسة العالمية ارتبطت مع نهاية الربع الأخير من القرن العشرين بمحاولة استخدام الدين كأداة لكبح جماح الشيوعية و نفوذ الاتحاد السوفيتي – في تلك الفترة – خاصة بعد الحرب العالمية الثانية في دول العالم الثالث عموماً و في دول العالم الإسلامي خصوصاً كأيديولوجيا علمانية إلحادية الطابع، و في سبيل ذلك بذلت الولايات المتحدة الأمريكية جهداً كبيراً في دعم المظاهر الإسلامية والجماعات الراديكالية في أفغانستان و مولت بالتنسيق مع دول أخرى بعض الجماعات المتشددة دينياً في كل من الإسلام و المسيحية.

ج. يزامن المفكر الفرنسي "جان برايار" و يربط بين العولمة و عودة الدين من زاويتين: الأولى هي أنه مع التسارع الهائل للعولمة و إفرازاتها التقنية و وسائل الاتصال و الفضائيات و الانترنت و التقانة الالكترونية و الشبكية، فإن الإنسان قد وقع فريسة للقيم المادية و الاستهلاك الرقمي و غابت الطبيعة الإنسانية مع الإنسان التقني و الإنسان الصانع و الإنسان الاقتصادي و تم اختزال الجوهر الإنساني في الأبعاد الاستهلاكية المادية و جاءت عودة المقدس لتقدم للإنسان بعده الغائب بفعل آليات العولمة " البعد الروحي الإنساني"، أما الزاوية الأخرى التي ترتبط فيها العولمة بانبعاث و عودة الأديان فتتمثل في إن الظواهر الدينية الجديدة لم تزدهر إلا بنمو ثورة الاتصالات حيث ساعدت على ربط الجماعات الدينية بعضها البعض و أفسحت لها المجال للاستفادة من منتجات ثورة المعلومات لبث رسالتها إلى أكبر عدد

من الجمهور، و قد أدى ذلك لانتشار الأديان خارج معاقلها التاريخية. (فرانك جي تشنر، الأصولية الكوكبية في:العولمة الطوفان أم الإنقاذ؟ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية و المنظمة العربية للترجمة،2004، ص98).

ح. ترتبط عودة الدين في أحد وجوهها كذلك بالانفجار الثقافي بعد الحرب الباردة، إذ يؤكد "برتران بادي" أنه بعد عجز النظام الدولي و الإقليمي و النموذج القومي الغربي في تحقيق العالمية بدأت بنية النظام الدولي في الحد من الاتجاه نحو التكاملية و السعي لتحقيق الذاتية، فبدأت أزمة الهويات التي أخذت تزداد شيئاً فشيئاً و التي بدت من خلالها التكافلات الدينية دقيقة و منظمة في منح هذه الهوية معناها،فالهوية الدينية التي بعد الدين أساسها تكاد تتحكم في عالم اليوم. (برتران بادي، كلود سموتس،43).

و يشير "جورج قرم" إلى تنامي الشعور بالتمايز الثقافي في عالم قد بات واضحا فيه أهمية هذه التمايزات، كذلك الحنين للجذور الحضارية لدى الثقافات غير الغربية فثمة اتجاهات نحو عودة الأديان لأصولها الآسيوية و إحياء الثقافة الهندوسية في الهند و عودة الأسلمة لأوجه الحياة العالم الإسلامي.(جورج قرم، المسألة الدينية في القرن الواحد و العشرين، تعريب: خليل أحمد خليل،بيروت:دار الفرابي،2007، ص70).

خ. يؤكد "هنتغتون" أن الدين هو العامل الأكثر تمييزاً وفصلاً بين الناس وفي تأكيد ومنحهم الهوية وهو في ذلك يتفوق على العرق و الاثنيات.(صمويل هنتغتون، صدام الحضارات،1996، ص77). وهو ما جعل "هنتغتون" يضعه كعامل محوري في تصنيف الحضارات كأقدم العوامل دون التاريخ التي لها دوراً أعمق في إعطاء فوارق بين الشعوب و الهويات.

- **سمات البعد الديني في العلاقات الدولية:**

انبعاث الأديان يتصل بالنمو لعدد من الديمقراطيات حول العالم، بنهاية القرن العشرين أدى هذا التوسع و والنمو الديمقراطي إلى توسيع مجالات الحريات الأساسية للمواطنين ضمن البناء الهيكلي القانوني للنظم السياسية ضمن هذه الحرية التي شملت الصحافة و التجمع كانت حرية التدين هي الأبرز وذلك لأنها بمثابة الركيزة الأولى لإطلاق باقي الحريات كحق إنساني أصيل يرتبط بالتطور السياسي لمسألة حقوق الإنسان في العلاقات الدولية بالرغبة في فهم أعمق لقضايا التطرف و الإرهاب. (ديريك ايتش ديفس، تطور الحرية الدينية، 2006،ص33).

الديمقراطية هيكلة تستوعب الفوارق الدينية في حالة وجود مجموعة من الالتزامات الدينية المختلفة و ربما أمكن القول إن الديمقراطيات الصاعدة ساهمت في ما يمكن تسميته بتدويل حقوق الإنسان الدينية.

وراء عودة الدين إلى الساحة هو الصراع المفاهيمي حول دور الأديان في حياة البشر، فالحداثة العلمانية الغربية تعتبر الدين نظاماً من المعتقدات الشخصية المرتبطة بالفرد و التي لا مكان لها في المجال العام، سواء على المستوى السياسي أو الثقافي أو الأخلاقي، في حين نجد عدة ديانات تقدم نفسها كنمط حياة يتداخل فيه الشخصي بالعام و الفردي بالجماعي، و لذلك يكون الدين فاعلاً سياسياً، اجتماعياً ثقافياً، له دور مهما في المجتمعات غير الغربية. (محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية، ص96).

وعليه كان لابد من رد الاعتبار للمجال الديني ضمن المتغيرات الدولية، لأن التوازن الأمني العالمي لا يستقيم إلا بأخذ بعين الاعتبار مطالب و نداء الأديان، و هو ما انتبه إليه "هنتغتون " عندما أوضح أن الديانات ستكون ضمن أشكال الصراع في فكرة الحضارة العالمية الشاملة الموحدة، فهو يؤكد أن الدين أصبح في العالم الحديث قوة مركزية أساسية تحفز و تعبئ الطاقات. (صمويل هنتغتون، صدام الحضارات،1996، ص86).

يعتقد البعض أن الطبيعة التغيرات التي طالت العلاقات الدولية مع نهاية الحرب الباردة و بروز عصر العولمة و التقنية و تجاوز مرحلة الحداثة إلى ما بعد الحداثة أدى لظهور فواعل جديدة فاعلة في الساحة الدولي و العالمية جراء تراجع دور الدولة القومية فيما عُرف بأزمة الدولة القومية التي كانت لفترة الوحدة الوحيدة الأساسية التي يفسر من خلالها النظام الدولي الذي كان يعرف بمجتمع الدولة، غير أن هذه الفرضية باتت غير صامدة في الوقت الراهن.(برتران بادي، كلود سموتس، مصدر سابق، ص08). فأصبحت الأمور خارج السيطرة بل أن دور المنظمات غير حكومية باتت أقوى في مواجهة الدولة، و مصدراً من مصادر الهوية و هذا ما أدى إلى تغير و بروز ولاءات غير التقليدية و تطورها و انتشارها عبر القومي، و قد أصبحت الجماعات الدينية أحد أهم الفاعلين الذين نافسوا دور الدولة في الوظائف التقليدية التي كانت ضمن إطار الدولة القومية، و هو ذهب إليه "هنتغتون" عندما قلل من دور الدولة في الصراعات و التفاعلات الدولية المستقبلية رغم تداركه لاحقا أن الدول ستظل هي أقوى القوى الفاعلة في الشؤون الدولية.

انتعاش الأديان تزامن مع نمو ثورة الاتصالات و بروز العولمة التي أنتجت ظواهر اجتماعية و ثقافية مختلفة،ويرد "طارق متري" ظاهرة عودة الدين إلى ظهور النمط الاستهلاكي الموحد في العالم، حتى إن هناك عدد من علماء الاجتماع يقولون أن بعض الحركات الدينية في الغرب يتعامل معها الناس على نفس النمط الذي يتعاملون من خلاله مع السلع الاستهلاكية.

الصعود الإسلامي كأحد ظواهر عودة المقدس بعض الباحثين يعتبره حالة خاصة نظرا لقوة تأثيره و تنامي أدواره في السنوات الأخيرة ويردونه لجملة عوامل متعددة ساهمت في بروز الأصوليات الإسلامية و جماعات الإسلام السياسي و اكتساحها الساحة و حضورها كفاعل على الصعيد الدولي.

من الممكن تحديد عدد من الفرضيات النظرية التي تحاول تفسير هذا الصعود للحركات و الخطاب الإسلامي و ليست هذه الفرضيات معزولة عن بعضها، بحيث تشكل جميعاً الخطاب البحثي حول البروز الإسلامي المعاصر.

- **الفرضيات الداعمة للمقاربة الدينية:**

الفرضية الأولى: تعطي الأولوية للأسباب السياسية و ترى في النمو المتزايد للطلب على الإسلام تعبيراً عن إخفاق الحركة القومية العربية، فالنمو المتسارع لهذه الحركات ارتبط باهتزاز الأفكار القومية العربية و ما أدت إليه من تراجع تاريخي في مواقع القوى السياسية التقدمية التي ارتبط اسمها بالتحديث الاجتماعي و العقائدية الحديثة،في هذا السياق يرى "فؤاد عجمي" إن فشل النخب العلمانية القومية يعود في جزء أساسي منه إلى الطريقة التي تحالفت بها نخب ما بعد الاستعمار مع الغرب بإبعاد الدين أو استخدامه لأغراض السلطة، و يرى "فيشر" في هذا الاستغلال و الفشل أحد العوامل الرئيسية وراء بروز الجماعات المسلحة التي استخدمت الدين الإسلامي ويقول: أن الإسلامية رد فعل على فشل الليبرالية الساذجة التي سارت ثلاثينيات القرن العشرين و اشتراكية العالم الثالث التي سادت في الستينيات و السبعينيات، و يقدم بروز الإسلام كنتاج لعدم قدرة النخب العلمانية التي خلفت الأنظمة الاستعمارية الأوروبية على تحقيق أمال شعوبها و تطلعاتها. (اشرف عثمان مُحَّد الحسن، الدولة في الشرق الأوسط العربي: دراسة في تناقضات ما بعد الدولة– الأمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم العلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009، ص88).

يربط البعض أيضا ظهور الأصوليات الدينية الإسلامية بأزمة العقائدية القومية و أزمة التحديث في العالم الإسلامي فنجد الباحثين يستخدمون فرضية أن الحركات الإسلامية ما هي إلاّ نتاج إحباط وعود الخطابات القومية و الوطنية و هي تمثل بذلك على نحو أكثر تحديداً نقداً للنموذج التي حاولت الخطابات تأسيسه، أنها بكلمة واحدة نتاج إخفاق مجتمع الحداثة.

الفرضية الثانية: تحيل مسألة الانبعاث الإسلامي إلى مداخل اجتماعية تربط بين نمو الحركات الإسلامية و تفاقم الأزمة الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية و تبرز الحركات الإسلامية كرد فعل على التحولات الاقتصادية السريعة،من هذا المنطلق، فإن الصعود الإسلامي يعبر عن تفاقم التناقضات الاجتماعية التي أدت إليها هذه التحولات ونوعاً من القلق النابع عنها. (اشرف عثمان مُحَمَّد الحسن، الدولة في الشرق الأوسط العربي: دراسة في تناقضات ما بعد الدولة– الأمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم العلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية،2009، ص89).

الفرضية الثالثة: خاصة بحالة الصعود الديني الإسلامي بواسطة الجماعات الراديكالية و جماعات الإسلام السياسي هناك من يرى أن الإعلام العالمي الغربي ساهم في تضخيم و صناعة رموز متطرفة أكبر من حجمها الحقيقي لحاجة الولايات المتحدة الأمريكية لعدو افتراضي بعد الحرب الباردة، فكان من سوء حظ الإسلام والمسلمين أن يفرض عليهم هذا الدور، خصوصاً أن الولايات المتحدة الأمريكية بعلاقاتها الوثيقة بالأنظمة العربية العلمانية تستطيع ترويض هذه الرموز. (قاسم جسار، صناعة التطرف: مولود واحد لأباء متعددين، مجلة كتابات الالكترونية، أكتوبر 2004، ص22).

الفرضية الرابعة: ذات العامل الخارجي تستند إلى أخرى ذات مفارقة، و هي أن الحملات التي تشن ضد الإسلام بدعوى نشر الديمقراطية في إشارة لسياسات الإدارة الأمريكية في العالم الإسلامي، أسهمت في تعزيز دورة و تعزيز دائرة المؤمنين به، حيث تسبب من ناحية في تمسك المجتمعات الإسلامية المستهدفة بدينها، وخلفت دعاية مجانية لتوسيع دائرة المعرفة بالدين الإسلامي لدى من يجهله، على الجانب آخر فان حملة العداء للإسلام في الغرب أدى إلى إقبال كبير على شراء نسخ من القرآن الكريم المترجمة للتعرف على الإسلام مما أدى إلى عملية عكسية باعتناق الكثيرين للإسلام.

هناك مجموعة من الآراء تقوم على العلاقات بين العمليات الاقتصادية و دلالاتها السياسية، فإن "سمير أمين" يربط ظهور الحركة الإسلامية بمنطق التوسع الرأسمالي "فالحركة الإسلامية ثمرة لإخفاق الرأسمالية في الأطراف وتعبيراً عن فشله" فهو لا ينظر إليها على أنها التعبير الإيديولوجي و السياسي عن فئات اجتماعية مستلبة فحسب و إنما يلحق بها كل القوى و الفئات التي تتسم بصفات مموجة في ذلك القوى الكمومبرادورية. (سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهالكة، بيروت: دار الفارابي، 2003، 67).

VI. الدين و قضايا العلاقات الدولية:

أصبحت الحقبة التي ينظر فيها إلى العلاقات الدولية باعتبارها الحقل الفعلي لعمليات الدول المستقلة وتفاعلاتها الخارجية قد تراجعت، فالعلاقات الدولية أصبحت جزءاً من اهتمامات لاعبين و فاعلين كثر تخطوا حدود الدول القومية التي لم تعد صالحة في الوقت الراهن لفرضية أساسيتها و مركزيتها في التفاعلات السياسية الدولية. (ديتر سنغهاس، الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، ترجمة: شوقي جلال،القاهرة: منشورات مكتبة الأسرة مصدر سلسلة العلوم الاجتماعية، 2009،ص85).

هؤلاء الفاعلين الجدد بدءوا التحرك على الساحة الدولية في قضايا مهمة و حساسة في العلاقات الدولية كانت محسومة بفعالية الدولة القومية، و لهم اهتمامات متنوعة و تصورات فكرية عن العالم و هذه الرؤى ذات تأثير عميق في الاستراتيجيات الدولية و حركية السياسة الدولية، و بات ينظر إلى الفاعلين الجدد على أنهم جزء أساسي فاعل لا يمكن تجاوزه في العلاقات و الأوضاع الكونية، و الإقرار بحضور فاعلين جدد مهمين كانت من نتائجه تعدد قضايا العلاقات الدولية و تعقدها، فقد كان الاعتقاد الشائع أن بنية العلاقات الدولية التي فواعلها الدول و المنظمات الدولية تتحدد في قطاعات التفاعل الثلاثية: الاقتصاد الدولي و التجارة الدولية و ما يتبعها من نقل السلع و الخدمات و الاستثمارات، و الحروب التي تقع بين الدول ذات سيادة و التبادل الثقافي و الاجتماعي بين الدول، و لذا فإن قضايا العلاقات الدولية انحصرت في شؤون السلام و الحرب و الترتيبات الدولية القانونية والتسلح، لكن نهاية الحرب البادرة التي دفعت بالفاعلين الجدد و بشكل غير منتظر بقضايا اعتبرت من صلب اهتمامات العلاقات الدولية، فلم تعد اليوم مسألة الأخلاق شأناً فردياً و لا داخلياً و لا تدور الأخلاق في الشؤون المتعلقة بالقيم المحلية فقط، لكن دخلت الأخلاق في قضايا السياسة العالمية، و في الحرب و السلم والتنمية و الفقر و السياسيات الخارجية، و برزت كموضوع عالمي مفروض في الترتيبات الدولية الواجب مناقشتها.

و بدأ الناشطون الدوليون الجدد في جعل كل من هذه القضايا في صدارة الاهتمامات الدولية، هؤلاء الفاعلين الجدد – عبر الوطنيين- اختطفوا الأدوار التي كان يقوم بها المجتمع المدني العالمي و الدول القومية،أصبحوا بطرقهم و أدواتهم الخاصة فعالين في بناء أدوار خاصة بهم في قضايا العلاقات الدولية، هؤلاء الفاعلين يشملون التجمعات الفكرية الدولية و المنتديات و المنظمات الدولية غير الحكومية و رجال الأعمال و الحركات الاحتجاجية و الشركات المتعددة الجنسيات و الحركات الاثنية و الفاعلين الثقافيين و القيادات ذات الكاريزما الدولية. (مارسيل ميرل، العلاقات الدولية المعاصرة، ترجمة: سمير نافعة، ص51-52).

و أهم هؤلاء الفاعلين والذين أخذوا لهم أدواراً بارزة في العلاقات الدولية هم الجماعات أو المنظمات الدينية و التي بفضل ضعف الايدولوجيا و الدولة القومية و العودة الكبيرة للدين و الثقافة إلى فعل التأثير في السياسة الدولية أضحت ذات تأثير نشط، أصبحت معه تشكل تحدياً خطيراً بالنسبة للحكومات و العلاقات والإستراتيجية الدولية. (تيمزار سميث، رؤى في التطور الاجتماعي، ترجمة: سمير الشيكلي، القاهرة: سلسلة عالم المعرفة، 2005، ص65).

هذه الجماعات و المنظمات الدينية تعمل في قضايا العلاقات الدولية بطرق متعددة، فهي تعمل كجماعات ضغط سياسي كما في حالة اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً و الذي يعمل على تركيز السياسة الأمريكية تجاه الصراع مع الفلسطينيين لمصلحة ضمان أمن إسرائيل، و في هذا الصدد تعد التوصيات التي تصدرها اللجنة الأمريكية للجمعيات اليهودية في مؤتمرها السنوي من قبل صناع القرار الأمريكي بمثابة الموجه لسياسة أمريكا حيال السلام في الشرق الأوسط و السياسات المرتبطة بقضايا مكافحة الإرهاب. (جوهان ميرشهايمر، اللوبي اليهودي و سياسة الولايات المتحدة الخارجية، 2001، ص15).

و على نحو ما تفعل أيضاً الجماعات الهندوسية كجماعات ضاغطة باتجاه سياسة النهد الإقليمية تجاه كل من باكستان و القضية الكشميرية و النزاع الحدودي الهندي الصيني و التي تعبر هذه الجماعات أنها مسائل مرتبطة بالعقيدة الهندوسية لأنها تتعلق بالأرض و لذلك دائما ما تأخذ الوزارات الهندية المتعاقبة حساب ردود أفعال هذه الجماعات في أي خطوة تجاه القضايا، كما يمكن النظر إلى الضغط الذي تمارسه الجماعات الإنجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة مباشرة في قضايا حساسة في السياسة الأمريكية الداخلية و الخارجية، أيضاً الجماعات الدينية و المنظمات الدينية تعمل كجماعات تعبوية لفرض رؤيتها على العلاقات الدولية انطلاقا من طاقتها الذاتية

غير المحدودة المتجاوزة للحدود و نطاق الدولة القومية، فالجماعات الإسلامية الراديكالية استطاعت مثلاً أن تصنع تعبئة شعبية إسلامية تجاه قضايا العالم الإسلامي تتجاوز نطاق الرؤية الرسمية للمؤسسات الدينية و الدول الإسلامية ذاتها، كما أنها بقيت على مبدأ رفض التطبيع الشعبي رغم أن الحكومات تتجه نحو التطبيع مع إسرائيل، كما أن الكنيسة الكاثوليكية لها دوراً بارزاً في العمل الدولي التعبوي فقد اضطلعت بوظيفة المعارضة في أمريكا اللاتينية على مذهب لاهوت التحرير،وتعبئة الناس للخروج ضد النظم الديكتاتورية بعد مؤتمر بوبيلا المطراني. (برتران بادي، ماري كلود سمويش، مرجع سابق، ص50).

وقد ساهمت الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الشرقية في تعبئة الجماهير ضد الأنظمة الاشتراكية وصولاً إلى انهيار المعسكر الشرقي و سقوط الشيوعية، و كما سعت الحركات الإحيائية الهندوسية بمجهودها التعبوي بإضفاء الشرعية على الممارسات و السياسات الهندية المضادة لتغريب الثقافي، و في انتهاج الهند سياسة متشددة ضد الأديان الأخرى المسيحية و الإسلام في شبه القارة الهندية.

الخاتمة:

الجماعات الدينية تمتد أدوارها في العلاقات الدولية إلى أبعد من الضغط و التعبئة، حيث تعمل في بعض الأحيان كأطراف مباشرة في صنع السياسة الدول و العلاقات الدولية و تلوين الأحداث الدولية بصبغتها الدينية لذلك تصبح واحدة من أطراف العلاقات الدولية.

تمتلك الجماعات الدينية و الثقافية وسائل متعددة تؤثر بها على قضايا العلاقات الدولية سواء بالأموال أو الدبلوماسية و منظمات الإغاثة و منظمات تعمل في مجال النزاعات، و هناك حتى بعض القادة العالميين ينضوون تحت سلطتها الروحية و بالتالي لديها سلطة التأثير الروحي على توجهاتهم و أفعالهم و سياساتهم.

كما أن التنظيمات تمتلك كوادر بشرية مؤهلة علمياً تدير نشاطهم السياسي و الإعلامي و شبكة اتصالات متعددة الخدمات و متطورة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية توجد حركة مسيحية محافظة متنامية القوة لديها شبكة واسعة من محطات الإذاعة و التلفزيون المسيحية اليمينية المنتشرة في كل أنحاء الدول لديها درجة عالية من التنظيم السياسي الذي اكتسبته رداً على هجوم مدرك على القيم التقليدية و على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية كبلد الرب. (نبيل الحمد، جنوح الإمبراطورية: الحروب التوسعية، عمان: دار المجد، 2006، ص118).

إن تمتع هذه المنظمات و التنظيمات بوسائل هائلة من خلال التطور التقني و العلمي حولت هذه الجماعات إلى فاعلين أكثر حركية و قدرة على تجاوز القوميات و الحدود الجغرافية و طرح أنفسها بصورة مباشرة على أجندة العلاقات الدولية التي أخذت تتأثر بآرائها و مواقفها و استراتيجياتها.

كما أن هذه الجماعات تمتلك سلطة الفتوى لتؤثر بها على العلاقات الدولية من خلال توجيه الأحداث السياسة الدولية عبر سلطة الفتاوى الدينية التي تطال الاستعانة بالأجنبي أو قضايا الدعم الأمريكي لإسرائيل التي تهدد المقدسات الإسلامية و تنتهك حقوق الأبرياء، كما أن فتاوى تدعم القيام بعمليات حربية و استشهادية ضد مصالح الدول الغربية أو تمتد هذه الفتاوى لتشجيع المقاومة ضد الهيمنة الغربية و مقاطعة لمنتجاتها، وقد اعتادت بعض الجماعات المسيحية إطلاق بعض الفتاوى التي أثرت على رؤية بعض القيادات السياسية في العالم لبعض القضايا في السياسات الخارجية، و كمثال على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية فقد دعا "بات روبرتسون" الحكومة الأمريكية إلى عدم تقديم أي منح لضحايا إعصار تسونا مي باعتباره عقاب إلهي لما يرتكب من فساد في

الأرخبيل الاندونيسي، الأمر الذي أثر على تصويت نواب الكونغرس الأمريكي لصالح المساعدات التي كانت الإدارة الأمريكية تنوي تقديمها كمنح إغاثة للأرخبيل المنكوب و قد كانت مساهمة الولايات المتحدة الأمريكية أقل مما توقعته الحكومة الاندونيسية، و التي أثرت على الوضع الإنساني مما دعا بعض الدول و المنظمات الدولية بنقد القرار الأمريكي.

أصبح من المؤكد أن الجماعات و التنظيمات غدت ذات سلطة فاعلة و حضور دولي في قضايا العلاقات الدولية بما تملكه من سلطة تأثير و موارد فضلاً عن الاستراتيجيات في السياسة العالمية، منها مجالات و قضايا رئيسية في العلاقات الدولية لتشمل العلاقات الخارجية للدول الكبرى، إلى المؤتمرات العالمية التي تعقدها الأمم المتحدة كترتيبات قانونية دولية تخص بعض القضايا ذات الصلة بالدول، كما أنها تدخلت بقوة في الاقتصاد العالمي و أوضاع حقوق الإنسان و قضية التسلح و الأمن في العلاقات الدولية.

قضايا التأثير لهذه الجماعات تتعدد في العلاقات الدولية فهي أولاً تعمل عل تضمين القضايا الدولية بعداً أخلاقياً قيمياً يستمد أصوله من الأديان و نصوصها اللاهوتية، بعد الاعتقاد الشائع أن الأخلاق ليست جزءاً من الشؤون العالمية و ترتبط فقط بقضايا الحرب و السلم، لذلك رأت بضرورة تدين السياسات العالمية أو إعادة الاعتبار أخلاقيا لبعض القضايا، و إدخال بعض المسائل الشخصية في النقاش الدولي رغم عدم أعميتها في الماضي في السياسة العالمية، فالجماعات الدينية كانت وراء اعتبار المسائل الشخصية و الأخلاقية ذات حيز في العلاقات الدولية و اعتبارها جزء من الاستراتيجيات الكونية فقد نالت نصيبا من النقاشات و انعقدت لها ترتيبات دولية رعتها الأمم المتحدة و شغلت حيزاً من النقاش و التداول و كان بارزاً فيها الاختلافات الدولية على بعض نصوصها انطلاقا من الخلفية الدينية لكل بلد.

ويرصد خبراء السياسة الخارجية الضغط الذي أصبحت تمثله الجماعات الدينية و الثقافية على الدول لتبني سياسات خارجية ذات صيغة تأخذ اعتبارها المسائل الدينية و الثقافية، ففي السياسة الدولية توجد دولاً تعتمد على التصورات الدينية و الثقافية في سياساتها الخارجية مثل باكستان و إيران و المملكة السعودية و الفاتيكان والولايات المتحدة الأمريكية.

المراجع:

- اشرف عثمان مُحَّد الحسن،(2009). الدولة في الشرق الأوسط العربي: دراسة في تناقضات ما بعد الدولة– الأمة، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، قسم العلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية.
- أوجست كونت، (2007). بنية الثورات العلمية، (ترجمة: قاسم حداد)، بيروت: المركز العربي للترجمة.
- برتران بادي، (1998).كلود سموتس، انقلاب العالم: سوسيولوجيا المسرح الدولي،(ترجمة: سوزان خليل)، القاهرة:دار العالم الثالث.
- برهان غيلون، نقد السياسة و الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- تيمزار سميث، (2005). رؤى في التطور الاجتماعي، (ترجمة: سمير الشيكلي)، القاهرة: سلسلة عالم المعرفة.
- جورج قرم، (2007). المسألة الدينية في القرن الواحد و العشرين، (تعريب: خليل أحمد خليل)،بيروت: دار الفرابي.
- جوهان ميرشهايمر، (2001). اللوبي اليهودي و سياسة الولايات المتحدة الخارجية.
- ديتتر سنغهاس، (2009). الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية،(ترجمة: شوقي جلال)،القاهرة: منشورات مكتبة الأسرة مصدر سلسلة العلوم الاجتماعية.
- ديريك ايتش ديفس، (2006). تطور الحرية الدينية.
- سلوى الخطيب، (2001.) نظرة في علم الاجتماع المعاصر، مطبعة النيل.
- سمير أمين، (2003). ما بعد الرأسمالية المتهالكة، بيروت: دار الفارابي.
- سيمجموند فرويد، (1973). مستقبل الوهم، (ترجمة: جورج طرابيشي)، بيروت: دار الطليعة.
- صمويل هنتغتون، (2006). أمريكا الأنا و الأخر من نحن الجدل الكبير؟، (ترجمة: عثمان الجبالي)،المركز العالمي للدراسات و أبحاث الكتاب الأخضر، بنغازي.
- صمويل هنتغتون، (1996).صدام الحضارات و إعادة صنع النظام العالمي،(ترجمة: طلعت الشايب)،بيروت مركز الإنماء الدولي.
- عساف الرحمي، (2004). أزمة الحداثة الغربية، بيروت: مركز الإنماء القومي

- فتح التريكي، رشيدة التريكي، (1992). فلسفة الحداثة، بيروت: مركز الإنماء القومي.
- فرانك جي تشنر، (2004). الأصولية الكوكبية في:العولمة الطوفان أم الإنقاذ؟ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية و المنظمة العربية للترجمة.
- فريدريك نيتشه، (1983). هكذا تكلم زرداشتت، (ترجمة: فيلكس فارس)، الإسكندرية، مطبعة جريدة البصير.
- قاسم جسار، (2004). صناعة التطرف: مولود واحد أباء متعددين، مجلة كتابات الالكترونية، أكتوبر
- مارسيل ميرل، العلاقات الدولية المعاصرة،(ترجمة: سمير نافعة).
- مايكل لوفي، (1988). الماركسية و الدين، (ترجمة: بشير السباعي)، بيروت: سلسلة دروس ماركسية.
- مُحَمَّد سعدي، (2006). مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- نبيل الحمد، (2006). جنوح الإمبراطورية: الحروب التوسعية، عمان: دار المجد.
- هنري كيسنجر، (2002). هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية.
- Samuel Huntington, The Clash of Civilisation, 1993.